المجلد (٦)، العدد (٢٦)، الجزء الثاني، سبتمبر ٢٠١٨، ص ص ٣٥ – ٥٩

لغة الإشارة في القرآن الكريم والسنة النبوية

إعداد

محمد فهد الأحمد
باحث في مرحلة الدكتوراه
تخصص إعاقة سمعية

جبريل عطية عقيلي
باحث في مرحلة الدكتوراه
تخصص إعاقة سمعية

طالع عبدالله العمري
باحث في مرحلة الدكتوراه
تخصص إعاقة سمعية

عادل عبيد المغيري
باحث في مرحلة الدكتوراه
تخصص إعاقة سمعية

DOI: 10.12816/0052860

لغة الإشارة في القرآن الكريم والسنة النبوية

إعداد
محمد فهد الأحمد (*)، جبريل عطية عقيلي (**)، طالع عبدالله العمري (***)، عادل عبيد المغيري (****)

ملخص

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على مدى استخدام لغة الإشارة في القرآن الكريم والسنة النبوية، والتعرف على أشكال وأنماط استخدام لغة الإشارة في القرآن الكريم والسنة النبوية ودلالاتها، ومعرفة أسباب استخدام لغة الإشارة في القرآن الكريم والسنة النبوية، ومعرفة ما إذا كانت لغة الإشارة ناقلة للأفكار والمعاني في القرآن الكريم والسنة النبوية، والتعرف على أكثر أجزاء الجسم استخداماً لتأدية الإشارة في القرآن الكريم والسنة النبوية. واعتمدت هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي التحليلي من خلال الرجوع للآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي استخدمت لغة الإشارة وتحليلها ومعرفة مدلولاتها والاستفادة من نتائج الدراسات السابقة ذات الصلة في الموضوع.

وتوصلت الدراسة إلى عديد من النتائج وهي: أن هناك استخدام للغة الإشارة في القرآن الكريم والسنة النبوية، حيث بلغت نسبة الاستخدام للتواصل غير اللفظي ومن بينه لغة الإشارة في القرآن الكريم قرابة (٧٢٪) من مجمل الآيات القرآنية، كما أنه ورد استخدام التواصل غير اللفظي في السنة النبوية. وكذلك أن لغة الإشارة المستخدمة في القرآن الكريم وفي السنة النبوية لها عدة أشكال وعدة مدلولات، وأشارت النتائج إلى أنه من أسباب استخدام لغة الإشارة في القرآن الكريم والسنة النبوية مع اللغة المنطوقة أنها يساعد على تقوية عملية التواصل ويزيد من فاعليته وفهمه بشكل أسرع، وأن لغة الإشارة تستطيع إيصال بعض ردود الفعل الطبيعية وبعض الأحاسيس الوجدانية والتي قد لا يمكن إيصالها عن طريق التواصل اللفظي، وأن لغة الإشارة قد تكون بديلة للغة المنطوقة وتحل محلها وتؤدي دورها وتستطيع إيصال الأفكار والرسائل والمعاني، وتتعدد الأعضاء المستخدمة في لغة الإشارة (اليدين، الوجه، الرأس، الجسد) خلاف اللغة المنطوقة والتي تعتمد بشكل أساسي على الفم واللسان، وأن الحركات المستخدمة في لغة الإشارة تجذب الشخص المقابل أكثر من اللغة المنطوقة.

(*) باحث في مرحلة الدكتوراه جامعة الملك سعود – كلية التربية – قسم التربية الخاصة.
(**) باحث في مرحلة الدكتوراه جامعة الملك سعود – كلية التربية – قسم التربية الخاصة.
(***) باحث في مرحلة الدكتوراه جامعة الملك سعود – كلية التربية – قسم التربية الخاصة.
(****) باحث في مرحلة الدكتوراه جامعة الملك سعود – كلية التربية – قسم التربية الخاصة.

Sign language in the Quran and Sunnah

Abstract

This study aims at identifying the use of sign language in the Holy Quran and Sunnah, to identify the forms and patterns of the use of sign language in the Quran and Sunnah and its implications, to know the reasons for using sign language in the Holy Quran and Sunnah, and to know whether sign language conveys ideas and meanings In the Quran and Sunnah, and to identify the most common parts of the body used to perform the reference in the Holy Quran and Sunnah. This study was based on the analytical inductive method through reference to Quranic verses and prophetic traditions that used sign language and its analysis and knowledge of its meanings and benefit from the results of previous studies related to the subject.

Moreover, the study reached many results:

There is a use of the sign language in the Holy Quran and Sunnah, where the rate of use of non-verbal communication, including sign language in the Koran about 72% of the Koranic verses. The sign language used in the Holy Quran and in the Prophetic Sunnah has several forms and several meanings. However, the results indicate that the reasons for using the sign language in the Quran and Sunnah with the spoken language helps to strengthen the communication process and increase its efficiency and understanding faster. Some of the natural reactions and some emotional feelings that may not be transmitted from the way of verbal communication, and that the sign language may be an alternative to spoken language and replace and play their role and can deliver ideas and messages and meanings, and the number of members used in the sign language (hands, head, body) other than the spoken language, which are mainly dependent on the mouth and tongue, and that the movements used in sign language attract the opposite person more than the spoken language.

Keywords: deaf language, nonverbal communication, hand signal.

المقدمة

يعيش الإنسان منذ ميلاده وحتى وفاته في عملية تواصل مستمرة باستخدام عدة استراتيجيات وطرق للاتصال مع الغير، ويعد الاتصال ذو أهمية بالغة في حياة الإنسان، وعلى الرغم من اختلاف لغات العالم والشعوب إلا أنه هناك تواصل متبادل ومستمر بين هذه الشعوب، والتواصل قد يكون لفظي أو اشاري أو كتابي.

واللغة نعمة وهبة من الله للناس لها ميزاتها ومدلولاتها المختلفة إما من خلال التعبير باللغة المنطوقة أو الغير منطوقة، ونظراً لما للإشارة من أهمية بالغة وما توحي به من الدلالات وما توصله من الأفكار والمعاني وما للقرآن الكريم والسنة النبوية من أهمية بالغة في حياة المسلم كان لزاماً ذكر ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية لكثير من المواضع وبعضاً من الأحداث والمواقف والقصص التي تضمنت على عدد من الجوانب الإشارية، حيث تمثلت بتعابير الوجه والإيماءات وحركات اليدين وحركات الجسد وأوضاعه وبعض الإشارات الأخرى، وعلل عدد من الباحثين ذلك لأهمية التواصل الإشاري في تدعيم بناء العملية التواصلية بين الأفراد بالإضافة إلى أنها قد تعبر عن العواطف والانفعالات من خلال تعابير الوجه على سبيل المثال والتي قد لا يكون بالمقدرة التعبير عنها باللغة المنطوقة وأيضاً قد تكون الإشارات كوسيلة لتوضيح بعض الغموض وعدم الفهم الوارد في اللغة المنطوقة (ربايعة، ٢٠١٠؛ يونس، ٢٠١٥؛ الطاهر ونجم الدين، ٢٠١٧).

ولقد كان الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم كثيراً ما يستخدم حركات الجسم كتواصل غير لفظي للتعبير عن مشاعره في عدة مواقف وأحاديث؛ إدراكاً منه على أهمية لغة التواصل المستخدمة فيما بينه وبين الصحابة (الخطيب، ٢٠٠٦).

وكان للأدب والشعر نصيب في استخدام التواصل الإشاري غير اللفظي إذ ورد في الشعر على سبيل المثال ما ذكره الجاحظ من بعض الأبيات التي ورد فيها بعض دلالة التواصل الإشاري ومن ذلك قول الشاعر (زنجير، ٢٠٠٤؛ أبو حامد، ٢٠١٠):

العينُ تبدي الذي في نفس صاحبها من المحبةِ أو بغضٍ إذا كانـــا

والعينُ تنطق والأفـــــواه صـــامتةٌ حتى ترى من ضمير القلب تبيانا

وفي أبياتٍ ثانية لشاعرٍ آخر:

أشارت بطرف العين خيفة أهلها إشارة مذعورٍ ولـــم تتكلمِ

فأيقنت أن الطرف قد قال مرحبًا وأهلا وسهلا بالحبيب المتيم

ومما يجدر الإشارة إليه أن التواصل الإشاري غير اللفظي مستخدم في مجالات عدة فهناك إشارات يستخدمها الغواصون في البحار وهناك إشارات يتم استخدامها في المجالات العسكرية.

تمتلك لغة الإشارة مقدرة على إيصال المعنى والمفهوم من خلال الإشارات والإيماءات (Abdelfattah, 2005)، وأشارت بعض الدراسات أن لغة الإشارة لها قواعد على المستوى النحوي تزيد من قوتها (Kristen & Gaurav, 2012)، وتوصل فيولا ونوزومي (Viola & Nozomi, 2012) إلى وجود تشابه كبير بين لغة الإشارة السعودية مع لغات إشارة أخرى، مع وجود استراتيجيات فريدة للغة الإشارة السعودية.

مشكلـــة الـــدراســـة:

ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية في كثير من المواضع والأحداث التي استخدمت لغة الإشارة أو بمسمى آخر التواصل غير اللفظي، ويحاول القائمون على هذا البحث التعرف على أبرز هذه الاستخدامات وأسباب ذلك ومقدرة لغة الإشارة على تأدية وظيفتها في إيصال الرسالة، ولا يوجد –على حد علم الباحثين– دراسات تناولت لغة الإشارة في القرآن الكريم والسنة النبوية من قبل متخصصين في مجال الأفراد الصم ولديهم خبرة ومهارة وتدريب في لغة الإشارة، لذا تحاول الدراسة الإجابة على التساؤلات التالية:

١– ما مدى استخدام لغة الإشارة في القرآن الكريم والسنة النبوية؟

٢– ما هي أشكال وأنماط استخدام لغة الإشارة في القرآن الكريم والسنة النبوية ودلالاتها؟

٣– ما أسباب استخدام لغة الإشارة في القرآن الكريم والسنة النبوية؟

٤– هل لغة الإشارة ناقلة للأفكار والمعاني في القرآن الكريم والسنة النبوية؟

٥– ما هي أكثر أجزاء الجسم استخداماً لتأدية الإشارة في القرآن الكريم والسنة النبوية؟

أهداف الدراسة:

تمثلت أهداف الدراسة في التالي:

١- التعرف على مدى استخدام لغة الإشارة في القرآن الكريم والسنة النبوية.

٢- التعرف على أشكال وأنماط استخدام لغة الإشارة في القرآن الكريم والسنة النبوية ودلالاتها.

٣- معرفة أسباب استخدام لغة الإشارة في القرآن الكريم والسنة النبوية.

٤- معرفة ما إذا كانت لغة الإشارة ناقلة للأفكار والمعاني في القرآن الكريم والسنة النبوية.

٥- التعرف على أكثر أجزاء الجسم استخداماً لتأدية الإشارة في القرآن الكريم والسنة النبوية.

أهمية الدراسة:

تمثلت أهمية الدراسة في:

١- تبيان أهمية لغة الإشارة في التواصل البشري.

٢- التأكيد على وجود التواصل غير اللفظي منذ عهد عصور الإسلام الأولى.

٣- رفع مستوى الوعي بلغة الإشارة.

٤- توضيح فاعلية ومقدرة لغة الإشارة على إيصال الرسائل والأفكار.

٥- التأكيد على أن لغة الإشارة قد تحل مكان اللغة المنطوقة.

مصطلحات الدراسة:

١- لغة الإشارة:

هي اللغة الطبيعية للأفراد الصم وتعتمد على حركات اليدين وتعابير الوجه وإيماءات أعضاء الجسم، تستخدم للتواصل مع الآخرين، وتتضمن على إشارات وصفية وإشارات غير وصفية وأبجدية الإشارة (الأحمد والريس، ١٤٣٥).

إجرائياً: هي مجموعة الإشارات التي تؤدى بمختلف أعضاء الجسم (اليدين، الرأس وبما فيه من أعضاء، الرجلين، وغيرها)، والتي استخدمت بشكل قصدي أو عفوي من أجل التواصل وإيصال رسالة ومعلومة معينة.

٢- القرآن الكريم:

هو كلام الله المنزل على نبيه محمد ρ . المتعبد بتلاوته، وهو كتاب مقدس، ويسمى بالكتاب والفرقان والذكر والتنزيل (القطان، ١٩٩٥: ١٦).

٣- السنة النبوية:

هي ما واظب عليه النبي ρ عليها مع الترك أحياناً، فإن كانت المواظبة المذكورة على سبيل العبادة فسنن الهدى، وإن كانت على سبيل العبادة فسنن الزوائد (الجهني، ٢٠١٤: ٦).

إجرائياً: جميع الأحاديث الشريفة والمواقف والأحداث في السنة النبوية والتي استخدمت لغة الإشارة كتواصل غير لفظي.

المنهـــج:

المنهج المستخدم في هذه الدراسة في المنهج الاستقرائي التحليلي، من خلال الرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية وعرض الآيات والأحاديث النبوية والمواقف التي استخدمت التواصل غير اللفظي.

الإطـــار النظـــري

المبحث الأول: لغة الإشارة والأبجدية الإشارية:

لغـــة الإشـــارة

تعد لغة الإشارة هي اللغة الأولى للغالبية العظمى للصم حول العالم، ويعد وليام ستوكي من أوائل من تحدث عن الأسس والقواعد في لغة الإشارة الأمريكية إذ نشره لورقته عام (١٩٦٠) شكل منعرجاً هاماً في لغة الإشارة الأمريكية بل كانت الاستفادة مما طرحة وليام ستوكي في معظم لغات الإشارة حول العالم، حيث أشار إلى أنه هناك أربعة معلمات للغة الإشارة هي: شكل اليد، وحركة اليد، ومكان اليد، واتجاه اليد الذي تم إضافته مؤخراً، والاهتمام بهذه المعلمات أو الأجزاء يساعد كثيراً في إيجاد لغة إشارة لها قواعدها وتكون قادره على ترجمة معظم اللغات سواء كانت منطوقة أو مكتوبة وسهولة إيصالها للأفراد الصم (William, 2005).

ولقد عرف التركي والريس والطويل (١٤٢٧: ٦) لغة الإشارة بأنها "نظام لغوي يعتمد على استخدام رموز يدوية لإيصال المعلومات للآخرين، وللتعبير عن المفاهيم والأفكار، وتعتبر لغة الإشارة اللغة المكتسبة والمفضلة لمجتمع الأفراد الصم".

وتشتمل لغة الإشارة على نوعين من الإشارات وهي كالتالي:

أ) **إشارات وصفية:** وهي الإشارات التي تعمل على وصف الشكل والمدلول مثلاً / إشارة الأكل والصلاة وما شابهها.

ب) **إشارات غير وصفية:** وهي الإشارات التي لا تتضمن وصفاً للشكل والمدلول، حيث تشير إلى معنى مجازي وهذه الإشارات تتطلب من المعلم وصفها وتوضيحها فمثلاً / إشارة التسبيح والاستغفار (العمري، ٢٠٠٩).

وعلى المستوى الدولي فإن لغة الإشارة الأمريكية على سبيل المثال لا الحصر تعد لغة طبيعية قائمة بحد ذاتها ولا تعتبر جزء تابع للغة الإنجليزية، ويعود الفضل في تقنين لغة الإشارة الأمريكية كما ذكره فيرون وأندروس إلى لورنت كليرك معلم الصم من أصول فرنسية وتوماس هوبكنز جالوديت عندما تم افتتاح أول مدرسة للطلبة الصم في الولايات المتحدة في عام ١٨١٧م والذي كان لجهودهما الفضل الكبير في انتقال لغة الإشارة الإنجليزية منذ ذلك الزمن من خلال تعليم الطلبة الصم هذه اللغة في المدارس، ويظهر تأثير المعلم الفرنسي لورنت كليرك في الإشارات المستخدمة في لغة الإشارة الأمريكية إذ تعود نسبة كبيره منها إلى أصول فرنسية (شيتز, ٢٠١٢/٢٠١٤). وفيما يلي بعض من طرق التواصل في لغة الإشارة الأمريكية:

١- الإنجليزية الإشارية الأساسية (Seeing Essential English) (SEE I).

٢- الإنجليزية الإشارية الدقيقة (Signing Exact English) (SEE II).

٣- الإنجليزية الإشارية الدقيقة القائمة على المفهوم (Conceptually Accurate Signed English) (CASE).

٤- الإنجليزية الإشارية الهجين (Pidgin Signed English) (PSE).

الأبجدية الإشارية

ويمكن تعريفها بأنها "وسيلة لتمثيل (تشكيل) الحروف الأبجدية من خلال اليد والأصابع وحركاتها التي تشكل تلك الحروف والأرقام". وفي الغالب تستخدم الأبجدية الإصبعية لأسماء الأشخاص والأماكن والتي لا يمكن تمثيلها بلغة الإشارة وتعتبر هذه الطريقة جزء من لغة الإشارة (حنفي والسعدون، ٢٠٠٤؛ العمري، ٢٠٠٩).

وفي الأبجدية الإصبعية العربية هناك عدد من الأسس والقواعد حيث يتم استخدام يد واحدة فقط في التعبير عن شكل الحرف، ولا بد أن يكون كف اليد موجهاً إلى الشخص المستقبل، والابتعاد عن حركات اليد التي قد تكون لها مدلولات اجتماعية غير مقبولة، وفي دول أخرى كبريطانيا فإن

الأبجدية الإصبعية البريطانية لها قواعد مختلفة على سبيل المثال هم يستخدمون كلتا اليدين معاً في تمثيل الحروف بعكس الأبجدية الأصبعية العربية (العمري، ٢٠٠٩؛Cline, 1997).

وتعتبر الأبجدية الإصبعية موحدة في جميع الدول العربية ويمكن أن يعود تاريخها إلى (١٥٩٠) في حلب العثمانية ولم تكن بهذا الاسم ولكن لوصف بعض المؤخرين لها تبدو كذلك، وأن أبجدية الأصابع الموجودة في القرن السادس عشر لا تتشابه مع أبجدية الإشارة الحالية في العالم العربي (Kristina, 2017).

المبحث الثاني/ لغة الإشارة في القرآن الكريم:

يشير أحمد (٢٠٠٣) إلى أنه هناك قرابة (٤٤٨٠) آية قرآنية من أصل (٦٢٣٦) آية ورد فيها التواصل الغير اللفظي ومن ضمنه التواصل الإشاري بنسبة (٧٢٪) من العدد الإجمالي لآيات القرآن الكريم، وتوزعت هذه الآيات على عدد (١١١) سورة من أصل (١١٤) سورة في القرآن الكريم بنسبة (٩٧٪)؛ إذ تعكس هذه الأرقام والنسب الأهمية الكبيرة للتواصل الغير لفظي في عملية الاتصال بين الآخرين في شتى مجالات الحياة.

ولقد قسم ربايعة (٢٠١٠) التواصل الغير لفظي الوارد في القرآن الكريم إلى:

- العين والبصر ومدلولاتهما (الباكية، الخائنة، المزدرية، الكارهة، الخاشعة، المندهشة، القلقة، المذهولة، المتأملة، المتعجبة).
- الوجه ملامحه وايماءاته ومدلولاتها (السعادة، الإشراقة، الخشوع، الشقاء، الكآبة، الخضوع).
- حركات اليدين ومدلولاتها (اليد المغلولة، الميد المبسوطة، اليد اللاطمة، اليد الباطشة).
- حركات الرأس ومدلولاتها (الذل، الحسرة، القبول، الرفض).
- لغة الجسد ومدلولاتها (تتمثل لغة الجسد في المشي، السير، الوقوف، الجلوس، النوم، ولكل مما سبق مدلول مختلف عن الآخر).

وفي دلالة على أن التواصل الإشاري قد ينوب عن التواصل اللفظي ويؤدي نفس المعنى ويفهم من متلقي الاتصال دون أي غموض كما ورد في قوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ

مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ (مريم: ٢٩)، وهذه أحد استخدامات التواصل الإشاري التي وردت في القرآن الكريم (روينة، ٢٠١٣).

وقولة تعالى مخاطباً زكريا: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ (آل عمران: ٤١)، في ذلك تأكيداً على أن التواصل لا يكون لفظياً فقط وإنما قد يتم التواصل إشارياً من خلال عدة قنوات قد تتمثل في لغة الإشارة وتعابير الوجه وحركات الجسم وغيرها مع مقدرتها على تأدية نفس الدور والفاعلية التي يقوم بها التواصل اللفظي (السهلي، ١٤٣٤؛ Abdelfattah, 2005).

أولاً/ العين والبصر ومدلولاتهما:

وهنا بعض مما ورد من التواصل غير اللفظي ومدلولاته في القرآن الكريم إذ قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (المائدة: ٨٣)، وقولة تعالى: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (يوسف: ٨٤)، حيث كانت دلالة العين والدموع في الآية الأولى هي التأثر العميق والتصديق لما ورد في الآية، بينما الدلالة في الآية الثانية كانت عن الحزن الشديد (ربايعة، ٢٠١٠). وهذا يؤكد بأن التواصل الإشاري والغير لفظي يستطيع إيصال ما بداخل الشخص من دون أن يتواصل أو يعبر لفظياً عما بداخله، وعلى الرغم من أن التواصل كان في هذه الآيتين من خلال العين إلا أن الدلالة اختلفت في الموقفين، وهذا يشير إلى أن الإشارة الواحدة قد تعطي معاني ومدلولات مختلفة عن بعضها بناء على السياق الذي ترد فيه (Sprenger & Mathur, 2012).

ثانياً/ الوجه ملامحة وايماءاته ومدلولاتها:

تعابير الوجه كتواصل غير لفظي قد تعكس ما بداخل الشخص وتؤدي إلى فهم نفسيته وأحاسيسه دون أن يعبر عما بداخله لفظياً، ومن أمثلة ذلك قولة تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ (المطففين: ٢٤)، وقولة تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ (طه: ١١١)، وقولة تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (النحل:٥٨).

ولتعابير الوجه وإيماءاته معاني مختلفة من موقف إلى آخر وأفضل توضيح لذلك ما ورد في قولة تعالي: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (آل عمران: آية ١٠٦: ١٠٧).

ثالثاً/ حركات اليدين ومدلولاتها:

وأما فيما يتعلق بحركات اليدين فقد وردت الكثير من الآيات حول ذلك وبمعاني ودلالات مختلفة ومن ذلك قولة تعالي: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (الإسراء: ٢٩)، وذكرت روينة (٢٠١٣) أن هناك دلالتين لليد في هذا الآية حيث كان المقصد في الأولى هو البخل والشح بينما في المعنى الثاني كان يشير إلى التبذير والإسراف وفي كلا الحالتين منهي عنهما، والاختلاف في اتجاه اليدين ومكانهما في الآية أدى إلى معنيين مختلفين لكلا الإشارتين وهذا ما أشارت له بعض الدراسات إذ أن شكل اليد واتجاهها وموقعها وحركتها تؤدي إشارات ذات معاني مختلفة (Alfityani, 2007)، ومن ذلك أيضاً ما ورد في قولة تعالى: ﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (المائدة: ٢٨). وفي دليل على تعبير اليدين من خلال حركتها ومكانها عن المعني كما ورد في قولة تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ١٩)، وذكر الشعراوي (١٩٩١) أن وضع أصابعهم في أذانهم دليل على الخوف، ولقد ورد أيضاً استخدام للأصابع في مواضع أخرى في القرآن الكريم ولكن لمعاني أخرى فمنها قولة تعالى: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ (نوح: ٧)، إذ كان دلالة استخدام الأصابع في هذه الآية حول العناد والرفض لما جاء به نبي الله نوح عليه السلام (الدمشقي، ١٩٩٩). ومما ورد أيضاً في القرآن الكريم من التعبير الإشاري ما جاء في قولة تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ (الكهف: ٤٢)، حيث كان تقليب الكفين في هذه الآية إشارة واضحة إلى الندم والحسرة (الحلفي، ٢٠١٥).

رابعاً/ حركات الرأس ومدلولاتها:

وفي حركات الرأس كتواصل غير لفظي ورد لها معاني ودلالات كثيرة في القرآن الكريم حيث كان من بين هذه المعاني هي الرفض ومثال ذلك ما جاء في قولة تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ (المنافقون: ٥٩)، وفي مواضع أخرى في القرآن كان للرأس دلالة مختلفة إذ في الآية التالية كان استخدام الرأس يدل على الخزي والندم حيث قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَأَرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ (السجدة: ١٢)، وفي دلالات أخرى للرأس وحركته كانت تشير إلى التكذيب والتعجب كما في قولة تعالى: ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ (الإسراء: ٥١) (أحمد، ٢٠٠٣).

خامساً/ لغة الجسد ومدلولاتها:

وردت عدد من الآيات في حركات الجسد ومنها قولة تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٢٧٥)، وفي ذلك دلالة على القيام بشكل غير متزن وفيه جنون، ومما ودر أيضاً في لغة الجسد قولة تعالى: ﴿لن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ (آل عمران: ١١١)، والمعنى في يولوكم الأدبار أي يفرون منهزمين (ربايعة، ٢٠١٠).

ومن خلال ما سبق يتضح استخدام القرآن الكريم للتواصل غير اللفظي بجانب التواصل اللفظي أحيان وكبديل للتواصل اللفظي في أحيان أخرى وهذا تأكيداً على أهمية التواصل غير اللفظي في عملية الاتصال وعلى مقدرته على إيصال الرسالة وتوصيل المفاهيم.

المبحث الثالث/ لغة الإشارة في السنة النبوية:

إن النبي ρ في امتثاله لأمر ربه Y حين أنزل عليه قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ] (المائدة: ٦٧)

لم يدع ρ أداة للتبليغ، ولا وسيّلة للبيان إلا وفعلها ؛ تبليغاً منه للرسالة، وتأدية للأمانة. والمتتبع للسنة النبوية الشريفة يرى مدى اهتمامها بكل ما من شأنه أن يحصل به البيان، ويتم به التبليغ سواء كان لفظاً، أو إشارة جسمية، أو غيرهما.

والسنة النبوية مليئة باستعمال هذا النوع الأخير من وسائل البيان حيث يقول الدكتور العبد (٢٠٠٧: ١٧٧): "تنوعت في روايات الحديث النبوي الشريف حركات الجسم وإيماءات اليد ونحوها تنوعاً كبيراً وكثيرة، وهي تبين في مجملها أن الرسول الكريم كان يرى في حالات بعينها ضرورة أن تكون العبارة مقرونة بالإشارة؛ للدلالة بوضوح عن المراد وحتى يدرأ عنهم الالتباس".

وفي ذات السياق يقول عرار (٢٠٠٧: ٢٠١): "إن القارئ لحديث رسول الله ρ يرد على أحاديث نبوية شريفة فيها حركات جسدية تلميحيه حيناً، وصريحة أحياناً أخرى، بل قد تقوم تلك الحركات والإيماءات مقام كلمة أو جملة وقد تكون من الروافد المعززة للكلام المنطوق، وقد تكون في سياق رابع سبيلاً من سبل تجلية المعنى أو تمثيله".

وكل ما يشير إليه المحدثون من إشارات جسمية لها دلالة اللفظ، وردت في السنة النبوية بالمعاني التي تدرس اليوم فيما يعرف بالحركات الجسمية أو الإشارات الجسمية فالابتسام والعبوس يفهم منها سعادة ورضا الشخص أو حزنه أو غضبه وتقطيب ما بين الحاجين يعني الرفض أو الغضب، وزم الشفتين يعني الاشمئزاز، ورفع الحاجبين مع فتح العينين والشفتين يعني الدهشة والاستغراب وهز الرأس قد يعني القبول أو الرفض، وهز الكتفين يعني الاستهانة أو الاستهزاء وتغير لون الوجه كاحمراره أو شحوبه يدل على خجل صاحبه أو خوفه (الدين، ٢٠٠١).

هناك أبواب أفردت للإشارة نحو "باب الإشارة في الطلاق والأمور" و"باب من أجاب الفتيا بالرأس واليد" ومن باب اللسان "إذا قذف الأصم امرأته بكتاب أو إشارة أو بإيماءة تعرف فهو كالمتكلم"(العبد، ٢٠٠٧).

ومن الأمثلة الواردة في السنة المطهرة، الحديث الذي وردت فيه الإشارة الجسمية دالة على الفزع، والخوف الشديد، وإن لم يقل ذلك راوي الحديث، بل صور لنا الحركة الجسمية الدالة على هذه الحال فقال: "عن جابر بن يزيد بن الأسود قال: شهدت مع رسول الله ρ حجته قال: فصليت

معه الفجر في مسجد الخيف، فلما صلى رسول الله ρ إذ هو برجلين لم يصليا، فدعا بهما فجيء بهما ترعد فرائسهما فقال: ما منعكما أن تصليا معنا. . . "(ابن حنبل، د، ت: ١٦٠)، فراوي الحديث لم يصرح لفظاً بخوف الرجلين، بل أتى بما يغني عن اللفظ (ترعد فرائسهما) فهذه الحركة الجسمية غاية في الدلالة عن المعنى، فلا يحتاج بعدها السامع أو القارئ إلى وصف باللفظ مهما بلغت فصاحته وجزالته لبيان مدى الخوف الذي تملك الرجلين.

كما أن النبي ρ قد زاوج بين الإشارة والعبارة لإتمام البيان وتبليغ المعنى في أوضح صورة ممكنة. ومثال ذلك ما جاء في حديثه ρ الذي يقدر فيه ساعة الاستجابة يوم الجمعة فعن أبي هريرة τ أن رسول الله ρ ذكر يوم الجمعة فقال: (فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله عز وجل شيئاً إلا أعطاه إياه. وأشار بيده يقللها) (البخاري، ٢٠١٠: ١١٦). قال الإمام الصنعاني: (وأما كيفية الإشارة فهو أنه وضع أنملته على بطنه الوسطى أو الخنصر يبين قلتها) (الصنعاني، ٢٠٠٦: ١٦٧).

وكان من بين أسباب استخدام التواصل غير اللفظي في السنة النبوية هو أن يمنع مانع من استخدام اللفظ لكفاية الإشارة لعذر كالمرض ونحوها. وفيما يلي عرض لبعض أشكال التواصل غير اللفظي في السنة النبوية:

أولاً/ العين ومدلولاتها:

وفيما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في استعماله للتواصل غير اللفظي من خلال العين، ما يروى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي وَفِي يَوْمِي وَبَيْنَ سَحْرِي وَنحْرِي وَأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ ريقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ دَخلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَن وَبيَدِهِ السِّوَاكُ وَأَنا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرَأَيْتهُ يَنْظرُ إِلَيْهِ وَعَرَفْت أَنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ فَقلْت آخُذهُ لكَ؟ فَأَشَارَ برَأْسِهِ أَنْ نعَمْ، فَتَناوَلْتهُ فاشْتدَّ عَليْه، وَقلْت: أُلَيِّنهُ لكَ؟ فأَشارَ برَأْسِهِ أَنْ نعَمْ. فَليَّنْتهُ، فأَمَرَّهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ أَوْ عُلْبَةٌ فِيهَا مَاءٌ، فجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فيَمْسَحُ بهمَا وَجْهَهُ، يَقُولُ: لا إِلهَ إِلا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ. ثمَّ نصَبَ يَدَهُ فجَعَلَ يَقُولُ فِي الرَّفِيقِ الأَعْلى حَتَّى قبِضَ وَمَالَتْ

يَدُهُ) (البخاري، ٢٠٠٨: كتاب المغازي: ١٦١٦)، و نجد أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فهمت من نظرات عيون رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يطلب منها السواك الذي مع عبد الرحمن.

وأيضاً مما يدلل على شيوع لغة الجسم بين عامة الناس في عهده ρ ، ما جاء من حديث أسماء حين سألت عائشة رضوان الله عليها – عن صلاة الكسوف – وهي قائمة تصلي (قالت أسماء صلى النبي ρ الكسوف فقلت لعائشة: ما شأن الناس؟ وهي تصلي فأومأت برأسها إلى الشمس. فقلت آية ؟ فأومأت برأسها أن نعم) (البخاري، ٢٠١٠: ٦٤٨).

ثانياً/ الرأس والوجه ومدلولاتهما:

إن دلالة الرأس على الذات والرأي أتم من دلالة سائر الأعضاء (ابن أبي طالب، ٢٠٠٥)، فهو أكمل الأعضاء لظهور الأفكار والمشاعر فيه بوجه أتم؛ ولأن الوجه حمل الحسن وضده ولأن الأحوال الظاهرة في الوجه قوية الدلالة (ظاظا، ١٩٧١)، ولكل من أجزاء الرأس والوجه دلالات تعبيرية لا يمكن حصرها جميعها، وتختلف الدلالة باختلاف الحركة أو الإشارة للعضو منفرداً أو مشتركا مع غيره من الأعضاء (أبو عرقوب، ١٩٩٣). لذا تم الاقتصار على بعض هيئات الرأس والوجه، ودلالتها التعبيرية الواردة في السنة النبوية كما يلي:

رفع الرأس للدلالة على كلمة (لا) وخفضه للدلالة على كلمة (نعم):

عن أنس بن مالك τ قال: عدا يهودي في عهد رسول اللهρ على جارية فأخذ أوضاحا كانت عليها، ورضخ رأسها، فأتى بها أهلها رسول الله ρوهي في آخر رمق وقد أصمتت فقال لها رسول الله ρ: من قتلك ؟ فلان لغير الذي قتلها ؟ فأشارت برأسها أن لا. قال: فقال لرجل آخر الذي قتلها فأشارت أن لا. فقال: فلان؟ لقاتلها فأشارت أن نعم. فأمر به رسول الله ρ فرضخ رأسه) (البخاري، ٢٠١٠: ٦٤٨). فمن خلال حركة الرأس (فأومأت برأسها) تم التعرف على المعتدي وقد اعتبر النبي ρ إيماءة رأس الجارية كاللفظ تماماً.

الوجه المعرض حياءً:

عن عائشة، أن أسماء سألتِ النبي ρ عن غسل المحيض؟ فقال: (خذي فِرْصةً ممسَّكةً وتوضئي ثلاثاً) ثم إن النبي ρاستحيا فأعرض بوجهه أو قال: (فتوضئي بها) فأخذتها فجذبتها فأخبرتها بما يريد النبي ρ(البخاري، ٢٠٠٨: ٤٦).

ثالثاً/ حركات اليدين ومدلولاتها:

إن أهمية اليدين في التعبير كأهمية الوجه، ومن الأعضاء المرتبطة باليدين في التعبير الذراعان، والأصابع، ولهذه الأعضاء هيئات ودلالات تعبيرية عديدة منفردة، أو مجتمعة مع غيرها تعين بالمقام والحال (نجيب، د. ت: ٤٧). ومن هيئات اليدين ودلالتها التعبيرية في السنة النبوية الافتاء بإشارة اليد، ومن تطبيقاته في السنة النبوية (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ فِي حَجَّتِهِ فَقَالَ: ذَبَحْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ؟ فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ، قَالَ: «وَلاَ حَرَجَ» قَالَ: حَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَذْبَحَ؟ فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ: «وَلاَ حَرَجَ» (البخاري، ٢٠٠٨: كتاب العلم: ٨٤).

ومن استخدامات اليدين في تواصل الرسول الكريم ρ في حديثه عن قيام الساعة حيث قال أبو حازم سمعته من سهل بن سعيد الساعدي صاحب رسول الله ρ قوله: قال رسول الله: ρ ("بعثت أنا والساعة هكذا" ويشير بإصبعيه فيمد بهما) (البخاري، ٢٠١٠: ٧٧٠)، ففي هذا المقام يتبين الدور الفعال الذي يؤدي التواصل غير اللفظي في توضيح المعنى وتبليغه بأدق ما يمكن.

رابعاً/ حركات الجسد وهيئته ومدلولاتها:

تغيير وضعية الجسم أثناء الحديث للتنبيه إلى أهمية الحديث الوارد بعد تغير وضعية الجسم. وهذه حركة الهدف منها جلب انتباه المستمع إلى أهمية ما سيقال، أو عظيم شأنه "في حديث لفظه أنه صلى الله عليه وسلم قال: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً؟ قالوا بلى يا رسول الله قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين وجلس وكان متكئاً ثم قال: ألا وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت" (رواه الترمذي: ٥٤٨)، ففي هذا الحديث يبين النبي ρ للصحابة رضوان الله عليهم كبائر الذنوب التي يجب على المسلم اجتنابها. فعدد الإشراك بالله، وعقوق الوالدين متكئاً غيّر وضعية جسمه من الاتكاء إلى الجلوس؛ ليفهم الحاضرون أن الشق التالي من الحديث يكتسي أهمية بالغة، ويعرفوا مدى خطورة هذا الذنب، ومدى التحذير منه.

يتضح لنا أن السنة النبوية نوعت وسائل وطرق التواصل في إيصال الرسالة السماوية للبشر، فلم يتم الاكتفاء باللغة المنطوقة بل تم في عدة مواقف توظيف لغة الاشارة بكافة محتوياتها؛ وهذا بيان لأهمية هذا النوع من التواصل من خلال وجوده واستخدامه في السيرة النبوية.

الدراسات السابقة

في دراسة لأحمد (٢٠٠٣) حول الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم معتمداً على المسح الشامل لجميع آيات القرآن الكريم لاستكشاف الآيات المتضمنة على اتصال غير لفظي والاستعانة بالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم إذ تناول الباحث عدد آيات (٦٢٣٦) آية تمثل جميع آيات القرآن الكريم، وتوصلت الدراسة إلى ما يلي: أن القرآن الكريم غني بالاتصال اللفظي حيث بلغ مجمل الآيات التي استخدمت التواصل غير اللفظي (٤٤٨٠) آية بنسبة اجمالية قدرها (٧٢٪) من آيات القرآن الكريم، وقسمت الدراسة الأعضاء المستخدمة في التواصل غير اللفظي وجميع دلالات كل عضو، وأن التعبيرات الوجهية والعواطف الرئيسية ذات طبيعة فطرية وفقاً لما ورد في كثير من الآيات القرآنية.

وفي دراسة للخطيب (٢٠٠٦) بعنوان لغة الجسم في السنة النبوية والتي استخدم بها الباحث المنهج التحليلي الناقص والاستنباطي النقدي، وهدف الباحث لإظهار مدى اهتمام الرسول ρ بهذه اللغة ومقدار استخدامه لها ومدى معرفة الصحابة بها وأثرها، وقد توصل الباحث الى جمع عدد كبير من الأحاديث الشريفة وتوضيح مدلولاتها وكذلك توصلت الدراسة إلى اثبات استخدام الرسول للغة الجسد بشكل كبير في التعبير عن مشاعره وكذلك استخدام الصحابة لها في نقل الأفكار والمشاعر.

حاول عرار (٢٠٠٧) التعرف على التواصل غير اللفظي في الحديث النبوي الشريف، حيث استخدم الباحث المنهج الوصفي، وهدف الباحث لتوضيح الدلالات والسياقات للتواصل غير اللفظي في الأحاديث الشريفة، ومن بين نتائج هذه الدراسة: أن التواصل غير اللفظي ناقل للمعنى كما تفعل الالفاظ، وأن للوجه والعين والرأس واليدين والأصابع دلالات معينة ومتنوعة ومختلفة في كل عضو.

أجرى الحلو (٢٠٠٨) دراسة معنونه بالاتصال الصامت وتأثيره على الآخرين إذ استخدمت فيها الباحثة المنهج الاستقرائي القائم على البحث والتحليل، وهدفت الباحثة الى اظهار الإعجاز القرآني في تصويره للنفس البشرية بكل خلجاتها وحركاتها تأثراً وتأثيراً وايضاح منهجية القرآن الكريم في ضبط التواصل بين الناس وخاصة التواصل الغير مباشر الذي لا يعتمد على اللفظ وبينت دور هذا التواصل الصامت في حياة النبي صلى الله علية وسلم، وقد توصلت الدراسة

الى أن التواصل الصامت له عديد من الأشكال والمستويات فيختلف استخدامه من فرد لآخر ومن جماعة لفرد ومن فرد لجماعة وفق محددات شرعية ونفسية واجتماعية.

سعى ربايعة (٢٠١٠) إلى دراسة لغة الجسد في القرآن الكريم وتحليل الآيات القرآنية المستخدمة لهذا النوع من التواصل، واعتمد الباحث على المنهج الاستقرائي التحليلي من خلال تناول الآيات القرآنية التي تضمنت لغة الجسد وتحليلها والتعرف على تفسيرها ومدلولات التواصل الجسدي فيها، وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها: أن لغة الجسد لها عدة معاني ودلالات وتختلف باختلاف العضو الجسدي المستخدم واتجاهه وحركته، وتنوع التواصل الجسدي المستخدم في القرآن الكريم، وأن التواصل الجسدي ولغة الإشارة لعبا دوراً هاماً في كثير من المواقف والآيات في إيصال وتوضيح المعنى المراد من التواصل المنطوق.

أجرى الحلفي (٢٠١٥) دراسة للتعرف استخدامات لغة الجسد في القرآن الكريم بالتركيز على لغتي العين واليد كنموذج، حيث اعتمد الباحث على مراجعة الدراسات السابقة التي تناولت ذات الموضوع والاستفادة من نتائجها والتوصيات المطروحة في كل دراسة، وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج من بينها: أن لغة الجسد تقف بجانب اللغة المنطوقة لتكوين النظام اللغوي المعني بالتواصل، وأن لغة الجسد كان لها استخدامات حتى في التراث العربي من خلال الشعر، وأن هناك عدة تسميات للغة الجسد مثل (الاتصال الصامت، بيان بلا لسان، الاتصال غير اللفظي)، وتنوع دلالة معاني لغة الجسد المستخدمة في القرآن.

ولقد عمل يونس (٢٠١٥) مقاربة سيميولوجية لحركتي العين واليد في القرآن الكريم، واستخدم الباحث المنهج التحليلي لاستخدامات العين واليد في القرآن الكريم، حيث هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على سبب استخدام أن حركات العين واليد هذ أكثر الحركات الجسدية استخداماً في الخطاب القرآني وما هي دلالاتها، وتوصلت الدراسة للنتائج التالية: أن الحركات الجسدية ذات أهمية في معادلة التواصل اللفظي في الخطاب القرآني وكانت حركات العين واليد هي الأكثر فاعلية واستخداماً من حركات الجسم في الآيات القرآنية، وكان هناك تعدد وتنوع في دلالات حركات العين واليد (الذهول، التعجب، الحيرة، البغض، الكراهية، وغيرها).

في دراسة للطاهر ونجم الدين (٢٠١٧) حاولا التعرف على أهمية الإشارة المصحوبة مع الكلام المنطوق في القرآن الكريم وعلاقتهما ببعضهما والتعرف على مدى فهم الإشارات مع اللغة المنطوقة، واستخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي، وكان من أهم نتائج الدراسة: أن الإشارة تساعد كثيراً على فهم العلوم في القرآن الكريم، ووجود اللغة المنطوقة ولغة الإشارة مع بعضهما يقويان عملية التواصل، وأن التواصل باستخدام النطق والإشارة بجانب بعضهما له أهمية كبيرة.

التعقيب على الدراسات السابقة

من خلال استعراض الدراسات السابقة التي تناولت التواصل غير اللفظي في القرآن الكريم والسنة النبوية يمكن القول بأن هذا الموضوع هام جداً، ويمكن تلخيص النقاط التالية:

- اتفقت عدد من الدراسات في استخدام المنهج الاستقرائي التحليلي (أحمد، ٢٠٠٣؛ الحلو، ٢٠٠٨؛ ربايعة، ٢٠١٠؛ يونس، ٢٠١٥).
- أكدت جميع الدراسات على أهمية التواصل غير اللفظي في عملية التواصل وقدرته على إيصال المعنى المطلوب.
- أكدت دراستي لك من الحلفي (٢٠١٥) ويونس (٢٠١٥) أن العين والجسد هي أكثر عضويين من الجسد تم استخدامهما في التواصل غير اللفظي.
- استخدم رسولنا الكريم ρ التواصل غير اللفظي والإشارة في كثير من المواضع مما يؤكد على أهميتها وفاعليتها (الخطيب، ٢٠٠٦)
- اتفقت دراسة كل من الحلفي (٢٠١٥) و يونس (٢٠١٥) على تعدد وتنوع دلالات كل إشارة استخدمت في القرآن الكريم، وأشار ربايعة (٢٠١٠) أن تغير اتجاه وشدة حركة العضو الجسدي يؤدي إلى تغير المعنى والدلالة.
- أكدت دراستي الحلو (٢٠٠٨) وعرار (٢٠٠٧) تنوع معاني ودلالات التواصل الجسدي المستخدم في السنة النبوية.

نتائج الدراسة

من خلال استخدام الدراسة للمنهج الاستقرائي التحليلي واستعراض للآيات والأحاديث التي استخدمتا التواصل غير اللفظي ولغة الإشارة والرجوع إلى دراسات سابقة ذات صلة بموضوع

الدراسة واستعراض نتائجها فإنه توصلت الدراسة الحالية إلى الاستجابات التالية على تساؤلات الدراسة كما يلي:

التساؤل الأول/ ما مدى استخدام لغة الإشارة في القرآن الكريم والسنة النبوية؟

هناك استخدام للغة الإشارة في القرآن الكريم والسنة النبوية، حيث بلغت نسبة الاستخدام للتواصل غير اللفظي ومن بينه لغة الإشارة في القرآن الكريم قرابة (٧٢٪) من مجمل الآيات القرآنية وهذا ما أكدته دراسة أحمد (٢٠٠٣) إذ توصل إلى أنه هناك تواصل غير لفظي استخدم في عدد (٤٤٨٠) آية قرآنية من إجمالي آيات القرآن الكريم والبالغة (٦٢٣٦) آية قرآنية، ومن الآيات الصريحة عن استخدام لغة الإشارة في القرآن الكريم قولة تعالى مخاطباً زكريا: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ (آل عمران: ٤١).

كما أن السنة النبوية بما فيها من أحاديث نبوية ومواقف وردت عن الرسول الكريم استخدمت لغة الإشارة في كثير من المواضع والأحداث وهناك عدد من الدراسات التي أيدت هذا الأمر (العبد، ٢٠٠٧؛ عرار، ٢٠٠٧؛ الخطيب، ٢٠٠٦)، ومما ورد من استخدام لغة الإشارة في السنة النبوية حديث رسولنا الكريم عن كفالة اليتم حيث ورد عن سهل بن سعد –رضي الله عنه– قال رسول اللهρ: (أَنَا وكافلُ الْيتِيمِ في الجنَّةِ هَكَذَا) (البخاري، باب الطلاق) وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما.

التساؤل الثاني/ ما هي أشكال وأنماط استخدام لغة الإشارة في القرآن الكريم والسنة النبوية ودلالاتها؟

هناك العديد من الأشكال والأنماط المستخدمة للغة الإشارة في القرآن الكريم والسنة النبوية وعدة دلالات ومعاني، حيث كانت أشكال لغة الإشارة المستخدمة في القرآن الكريم ودلالاتها كانت كالتالي:

١- العين والبصر كانت من بين أشكال الإشارة المستخدمة في القرآن الكريم وكان من أبرز دلالاتها الواردة في الآيات هي (البكاء دلالاه على الفرح أو الحزن، الكره، الخشوع، الدهشة، القلق، التعجب، التأمل، الذل).

٢- ملامح الوجه وايماءاته وكانت دلالاتها تدور حول (الشقاء، الكئابة، الخشوع، السعادة، الحسرة، الندم).

٣- حركات الرأس حيث كان من أبرز دلالاتها هي (الرفض، القبول، الخزي، التكذيب).

واتفقت مع نتائج هذه الدراسة نتائج دراسات كثيرة أجريت حول ذات الموضوع منها دراسة الطاهر ونجم الدين (٢٠١٧)، ودراسة ربايعة (٢٠١٠).

أما عن أشكال التواصل بلغة الإشارة في السنة النبوية ودلالاته توصلت الدراسة إلى الآتي:

١- العين ودلالاتها تمثلت في (القبول، التبصر، الخشوع، الرضى، التعجب).

٢- الرأس والوجه كانت من بين الأعضاء التي أدت عدد من أشكال الإشارة وكانت دلالاتها هي (الرفض، القبول، الحياء، الخوف، الغضب، الكراهية، الحزن، التعجب، الفرح، الإعراض، النعاس).

٣- حركات اليدين وإشاراتها كانت تدل على (التوضيح، الإنفاق، الكرم، البخل، الدعاء، الإشارة للمكان، التعداد، التسبيح).

٤- حركات الجسد وهيئته العامة ومن بين ما دلالاتها (أهمية الحديث، الاهتمام، الفرح، التكبر، الخوف، المرض، الانهزام، الخضوع).

وأكد على هذه الأشكال والأنماط للغة الإشارة ودلالاتها المستخدمة في السنة النبوية عدد من الدراسات مما يعني أنه ما توصلت له هذه الدراسة هي أبرز الأشكال والأنماط الإشارية المستخدمة والدلالات المذكورة تعتبر أكثر الدلالات لهذا الإشارات (عرار، ٢٠٠٧؛ الخطيب، ٢٠٠٦).

التساؤل الثالث/ ما أسباب استخدام لغة الإشارة في القرآن الكريم والسنة النبوية؟

توصلت الدراسة إلى أنه هناك العديد من الأسباب لاستخدام لغة الإشارة في القرآن الكريم والسنة النبوية جاءت كما يلي:

١- أن وجود لغة الإشارة كتواصل غير لفظي مع اللغة المنطوقة كتواصل لفظي يساعد على تقوية عملية التواصل ويزيد من فاعليته وفهمه بشكل أسرع، وهذا ما توصلت أيضاً إلى دراسة الطاهر ونجم الدين (٢٠١٧).

٢- أن لغة الإشارة تستطيع إيصال بعض ردود الفعل الطبيعية وبعض الأحاسيس الوجدانية والتي قد لا يمكن إيصالها عن طريقة التواصل اللفظي، وتتفق هذه النتيجة مع ما جاء في دراسة ربايعة (٢٠١٠).

٣- أن لغة الإشارة قد تكون بديلة للغة المنطوقة وتحل محلها وتؤدي دورها وتستطيع إيصال الأفكار والرسائل والمعاني.

٤- تعدد الأعضاء المستخدمة في لغة الإشارة (اليدين، الوجه، الرأس، الجسد) خلاف اللغة المنطوقة والتي تعتمد بشكل أساسي على الفم واللسان.

٥- أن الحركات المستخدمة في لغة الإشارة تجذب الشخص المقابل أكثر من اللغة المنطوقة.

التساؤل الرابع/ هل لغة الإشارة ناقلة للأفكار والمعاني في القرآن الكريم والسنة النبوية؟

من خلال استعراض الدراسات السابقة وتحليل الآيات والأحاديث التي استخدمت لغة الإشارة فقد أثبتت لغة الإشارة قدرتها على نقل الأفكار والمعاني في القرآن الكريم والسنة النبوية، وأيضاً كانت لغة الإشارة مفهومة من قبل المتلقي بل أنها في كثير من الأحيان كانت تبيان وتوضيح للغة المنطوقة. وهذا يتوافق مع ما توصل إليه عبدالفتاح (Abdelfattah, 2005) حول مقدرة لغة الإشارة على إيصال المعنى والرسالة.

التساؤل الخامس/ ما هي أكثر أجزاء الجسم استخداماً لتأدية الإشارة في القرآن الكريم والسنة النبوية؟

هناك تقارب في استخدامات أجزاء وأعضاء الجسم لتأدية الإشارة في القرآن الكريم والسنة النبوية إلا أن اليدين وحركاتها كانت الأكثر استخداماً وفاعلية واتفقت هذ النتيجة مع نتائج دراستي ربايعة (٢٠١٠)، والحلفي (٢٠١٥)، ثم أتت العينين وايماءات الوجه ثانياً وبعد ذلك حركات الرأس.

التوصيات

في ختام هذه الدراسة تقدم التوصيات التالية:

١- إنشاء مراكز ومعاهد متخصصة بكل ما يتعلق بلغة الإشارة من إعداد مترجمين والعمل على تطوير لغة الإشارة.

٢- إجراء المزيد من الأبحاث حول لغة الإشارة والعمل على وضع قوانين لها والتغلب على أبرز سلبياتها والاستفادة من الإيجابيات.

٣- رفع مستوى الوعي بلغة الإشارة السعودية عند الأفراد الصم والسامعين ونشرها في المجتمع.

٤- التعرف على استخدامات لغة الإشارة عند غير الأفراد الصم كمجالات الغوص والشعر وغيرها من المجالات التي تستخدم لغة الإشارة.

المـــراجـــع

المراجع العربية:

ابن أبي طالب، محمد (٢٠٠٥). السياسة في علم الفراسة. تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ط١، دار الكتب العلمية: بيروت.

ابن حنبل، أحمد (د. ت). المسند. أحاديثه مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤط، مؤسسة قرطبة: القاهرة.

أبو عرقوب، إبراهيم (١٩٩٣). ، الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي. ط١، دار مجدلاوي: عمان.

أبو حامد، مها. (٢٠١٠). العين وتطورها الدلالي في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي (دراسة دلالي إحصائية). رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطني: فلسطين.

أحمد، محمد. (٢٠٠٣). الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم. دائرة الثقافة والإعلام. الشارقة.

الأحمد، محمد؛ الريس، طارق (٢٠١٥). مشكلات تدريس اللغة الإنجليزية للطلبة الصم وطرق التغلب عليها من وجهة نظر معلميهم بمعاهد وبرامج الأمل في المملكة العربية السعودية. المجلة الدولية للأبحاث التربوية. جامعة الإمارات العربية المتحدة. الإمارات. م٣٨. ص ٦٧-١٠٥.

البخاري، أبو عبد الله (٢٠٠٨). الجامع الصحيح. مكتبة العلوم والحكم: مصر.

البخاري، محمد (٢٠١٠). صحيح البخاري. ط١، دار ابن الجوزي: القاهرة.

التركي، يوسف؛ الريس، طارق؛ الطويل، فهد (١٤٢٧). دليل مترجمي لغة الإشارة. وزارة التربية والتعليم، الرياض: الإدارة العامة للتربية الخاصة.

الجهني، خالد (٢٠١٤) السنة النبوية ومكانتها في التشريع الإسلامي. مكتبة الألوكة. أسترجع في ٢، نوفمبر. ٢٠١٤. من المصدر https://www.alukah.net/library/0/77915/

الحلفي، شكيب. (٢٠١٥). لغة الجسد في القرآن الكريم (لغتا العين واليد إنموذجاً). حولية المنتدى–العراق. ع ٢٢، م ٨، ص ٢٠١–٢٣٦.

الحلو، فاطمة (٢٠٠٨). الاتصال الصامت وتأثيره في الآخرين. رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية: غزة.

حنفي، علي؛ السعدون، عبد الوهاب (٢٠٠٤). طرق التواصل للمعوقين سمعيا. الرياض: الأكاديمية العربية للتربية الخاصة.

الخطيب، محمد. (٢٠٠٦). لغة الجسم في السنة النبوية (دراسة موضوعية). رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية: عمّان.

القطان، مناع (١٩٩٥). مباحث في علوم القرآن. مكتبة وهبة للنشر: القاهرة.

الدمشقي، إسماعيل. (١٩٩٩). تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير). الرياض: دار طيبة.

الدين، كريم (٢٠٠١). الإشارات الجسمية دراسة لغوية لظاهرة استعمال أعضاء الجسم في التواصل، ط٢، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع: القاهرة.

ربايعة، أسامة. (٢٠١٠). لغة الجسد في القرآن الكريم. رسالة ماجستير غير منشورة، قسم أصول الدين، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطني: فلسطين.

روينة، نزيهة. (٢٠١٣). التواصل غير اللفظي في القصص القرآني. رسالة ماجستير غير منشورة، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر: الجزائر.

زنجير، محمد. (٢٠٠٤). لغة الجسد في الشعر العربي. مجلة التاريخ العربي–اتحاد المؤرخين المغاربة–المغرب. ع ٢٩، ص ١١–٨٠.

السهلي، نوير. (١٤٣٤). الاستخدامات الدعوية للإشارة في القرآن والسنة. رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الدعوة والاحتساب، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: الرياض.

الشعراوي، محمد. (١٩٩١). تفسير الشعراوي (خواطري حول القرآن الكريم). القاهرة: دار أخبار اليوم.

شيتز، نانسي (٢٠١٤). تعليم الصم في القرن الحادي والعشرين: الموضوعات والاتجاهات، (ترجمة طارق الريس). السعودية: مركز الترجمة بجامعة الملك سعود. (العمل الأصلي نشر في ٢٠١٢).

الصنعاني، محمد (٢٠٠٦). سبل السلام. تعليق المحدث ناصر الدين الألباني، مكتبة دار المعارف: الرياض.

الطاهر، عبد الدائم؛ نجم الدين، مبارك. (٢٠١٧). الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم (دراسة تحليلية). مجلة العلوم والبحوث الإسلامية–كلية الدراسات العليا–جامعة السودان للعوم والتكنولوجيا–السودان. ع ١٨، م ٢، ص ١–٧.

ظاظا، حسن (١٩٧١). اللسان والإنسان مدخل إلى معرفة اللغة. مطبعة المصري: القاهرة.

العبد، محمد (٢٠٠٧). العبارة والإشارة دراسة في نظرية الاتصال. الطبعة الأولى، مكتبة الآداب: القاهرة.

عرار، مهدي (٢٠٠٧). البيان بلا لسان دراسة في لغة الجسد. ط١، دار الكتب العلمية: بيروت.

العمري، عبدالهادي (٢٠٠٩). الكفايات اللازمة لمترجمي لغة الإشارة من وجهة نظر الصم والمترجمين في المملكة العربية السعودية. رسالة ماجستير غير منشورة. قسم التربية الخاصة، كلية التربية، جامعة الملك سعود: الرياض.

نجيب، عز الدين (د. ت). الفراسة طريقك إلى النجاح. مكتبة ابن سينا: مصر.

يونس، شهرزاد. (٢٠١٥). لغة الجسد في القرآن الكريم–مقاربة سيميولوجبية لحركتي العين واليد. مجلة العلوم الإنسانية–قسم الآداب واللغة العربية–جامعة قسنطينة–الجزائر. ع ٤٣، ص ٢٠٣–٢٢٥.

المراجع الأجنبية:

Abdelfattah, M. (2005). Arabic Sign Language: A Perspective. Journal of Deaf Studies and Deaf Education, Vol. 10, No. 2, p 213-221.

Alfityani, K. (2007). Arab Sign Languages: A Lexical Comparison. CRL Technical Report, Vol. 19, No. 1, p 1-13.

Cline, T. (1997). Educating for Bilingualism in Different Contexts: Teaching the Deaf and Teaching Children with English as an Additional Language. UK. Educational Review, Vol. 49 , No. 2.

Kristen, S,. & Gaurav, M. (2012). Observations on Word Order in Saudi Arabian Sign Language. SIGN LANGUAGE STUDIES, VOL. 13, No. 1, p 122-134.

Kristina, R. (2017). New Evidence for Early Modern Ottoman Arabic and Turkish Sign Systems. Sign Language Studies, Vol. 17, No. 2.

Sprenger, K. , & Mathur, G. (2012). Observations on Word Order in Saudi Arabian Sign Language. SIGN LANGUAGE STUDIES, Vol. 13, No. 1, p 122-134.

Viola, K,. & Nozomi, T. (2012). On Selected Phonological Patterns in Saudi Arabian Sign Language. SIGN LANGUAGE STUDIES, VOL. 13, No. 1, p 56-78.

William, S. (2005). Sign Language Structure: An Outline of the Visual Communication Systems of the American Deaf. Journal of Deaf Studies and Deaf Education, Vol. 10, No.1, P 4-34.